

تفسير البحر المحيط

@ 361 @ فأنكر عليهم بقوله : { الْيَدُونِ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْثَانًا }
وَهُمْ شَاهِدُونَ : أي خلقناهم وهم لا يشهدون شيئاً من حالهم ، كما قال في الأخرى : {
أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ } وكما قال { مَا أَشْهَدَتْهُمْ خَلْقَ * السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاللَّيْلِ * خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ } . ثم أخبر عنهم ثالثاً بأعظم الكفر ، وهو
ادعاؤهم أنه تعالى قد ولد ، فبلغ إفكهم إلى نسبة الولد . ولما كان هذا فاحشاً قال : {
وَإِنْ زَنَّهُمْ لَكَ آذِينَ } . واحتمل أن تخص هذه الجملة بقولهم ولد □ ، ويكون تأكيد
لقوله : { مِّنْ إِنْفُسِهِمْ } ، واحتمل أن يعم هذا القول . فإن قلت : لم قال : {
وَهُمْ شَاهِدُونَ } ، فخص علمهم بالمشاهدة ؟ قلت : ما هو إلا استهزاء وتجهيل كقوله : {
أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ } ، وذلك أنهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة ، لم يعلموه
بخلق □ علمه في قلوبهم ولا بإخبار صادق ، لا بطريق استدلال ولا نظر . ويجوز أن يكون
المعنى أنهم يقولون ذلك ، كالقائل قولاً عن ثلج صدر وطماً نينة نفس لإفراط جهلهم ، كأنهم
قد شاهدوا خلقه . وقرأ : { وَلَدَ اللَّيْلُ } : أي الملائكة ولده ، والولد فعل بمعنى
مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث . تقول : هذه ولدي ، وهؤلاء ولدي . انتهى
. . .
وقرأ الجمهور : { اصْطَفَى } ، بهمزة الاستفهام ، على طريقة الإنكار والاستبعاد . وقرأ
نافع في رواية إسماعيل وابن جمار وجماعة ، وإسماعيل عن أبي جعفر وشيبة : بوصل الألف ،
وهو من كلام الكفار . حكى □ تعالى شنيع قولهم ، وهو أنهم ما كفاهم أن قالوا ولد □ ،
حتى جعلوا ذلك الولد بنات □ ، و□ تعالى اختارهم على البنين . وقال الزمخشري : بدلاً
عن قولهم ولد □ ، وقد قرأ بها حمزة والأعمش ، وهذه القراءة ، وإن كان هذا محلها ، فهي
ضعيفة ؛ والذي أضعفها أن الإنكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها ، وذلك قوله : {
وَإِنْ زَنَّهُمْ لَكَ آذِينَ } ، { مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } . فمن جعلها للإثبات
فقد أوقعها دخيلة بين سببين ، وليست دخيلة بين نسيبين ، بل لها مناسبة ظاهرة مع قولهم
ولد □ . وأما قوله : { وَإِنْ زَنَّهُمْ لَكَ آذِينَ } ، فهي جملة اعتراض بين مقالتي
الكفر ، جاءت للتشديد والتأكيد في كون مقالتهم تلك هي من إفكهم . { مَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ } : تقرير وتوبيخ واستفهام عن البرهان والحجة . وقرأ طلحة بن مصرف :
تذكرون ، بسكون الذال وضم الكاف . { أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ } : أي حجة نزلت عليكم من
السماء ، وخبر بأن الملائكة بنات □ . { فَأُتُوا بِكِتَابِكُمْ } ، الذي أنزل عليكم

بذلك ، كقوله : { أَمْ أَنْزَلْنَاهَا عَلَىٰ هِمِّ سُلْطَانَانَا } ، فهو يتكلم بما كانوا به يشركون . .

{ وَجَعَلُوا بِيَدَيْهِمْ وَيَدَيَّنَا الْجِنَّةَ نَسِيًّا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ * إِلَّا عَبْدًا لِلَّهِ الْمُخْلِصِينَ * فَإِنَّ زَكَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ * مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ * وَمَا مِنْنَا إِلَّا لِمَا نَشَاءُ * وَمَعْلُومُونَ * وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنْزَلْنَاهُ لَنزَلْنَاهُ سُبْحَانَ اللَّهِ الْوَالِيِّينَ * لَكُنَّا أَعْيَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ * فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصُرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * أَفَئِدْعَادَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ * وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصُرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } . .

الظاهر أن الجنة هم الشياطين ، وعن الكفار في ذلك مقالات شنيعة . منها أنه تعالى صاهر سروات الجن ، فولد منهم الملائكة ، وهم فرقة من بني مدلج ، وشافه بذلك بعض الكفار أبا بكر الصديق . { وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ } : أي الشياطين ، أنها محضرة أمر □ من ثواب وعقاب ، قاله ابن عطية . وقال الزمخشري : إذا فسرت الجنة بالشياطين ، فيجوز أن يكون الضمير في { إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ } لهم . والمعنى أن الشياطين عالمون أن □ يحضرهم النار ويعذبهم ، ولو كانوا مناسبين له ، أو شركاء في وجوب الطاعة ، لما عذبهم . وقيل : الضمير في { وَجَعَلُوا } لفرقة من كفار قريش والعرب ، والجنة : الملائكة ، سماوا